

الاتجاهات المعاصرة في علم نفس الطفل: اتجاه رني سبيتز نموذجاً

Contemporary trends in child psychology: René Arpad Spitz Spitz's trend is a model.
Tendances contemporaines de la psychologie de l'enfant : la tendance de Rennie Spitz comme modèle

د. فتيحة يحيى¹*

تاريخ الإرسال: 2024/11/15 تاريخ القبول: 2024/12/19 تاريخ النشر: 2024/12/30

ملخص:

تستمد الدراسة الحالية أهميتها انطلاقاً من رافدين أساسيين هما طبيعة الموضوع الذي تعالجه، وطبيعة المرحلة العمرية (الطفولة) فمن منطلق أن تربية الطفل مفهوم واسع يشمل ما هو خارج وداخل الأسرة. إلى جانب أهمية علم نفس الطفل الذي يعتبر مفهوم واسع، ويركز في دراسته على تفكير وسلوك الطفل، حيث يكون يتبع المراحل التاريخية الخاصة به من بداية ولادته إلى مرحلة مراهقته والتي كونت شخصيته، وفهم سيرورتها وطرق تكوينها. ومن أجل فهم الراشد الذي يعتبر طفل ماضي لكن بخصائص متطورة حيث تعبر السلوكيات الصادرة عنه على إشكالية عميقة تخص حياة الطفولة والمراحل الحاسمة للنمو، باعتبار أن الطفل هو الذي يصنع الراشد ويمده بمجموع الصفات التي هو عليها اليوم في محيطه.

مما سبق تهدف هذه الورقة البحثية إلى معرفة أهم الاتجاهات التي جاءت في هذا المجال ومن بينها هذا الاتجاه ودوره في فهم الطفل ودراسته بجوانبه السوية و اللاسوية داخل محيطه الخارجي والداخلي.

الكلمات المفتاحية: علم نفس، علم نفس الطفل، نظرية سبيتز.

Abstract :

The current study derives its importance from two main sources: the nature of the subject it addresses, and the nature of the age group (childhood). Based on the fact that raising a child is a broad concept that includes what is outside and inside the family. In addition to the importance of child psychology, which is a broad concept, and focuses in its study on the thinking and behavior of the child, where it is by tracing his historical stages from the beginning of his birth to his adolescence, which formed his personality, and understanding its progress and methods of formation. In order to understand the adult who is considered a child of the past but with developed characteristics, where the behaviors issued by him express a deep problem related to childhood life and the critical stages of growth, considering that the child is the one who makes the adult and provides him with the set of qualities that he has today in his environment

From the above, this research paper aims to identify the most important trends that have emerged in this field, including this trend and its role in understanding and studying the child with his normal and abnormal aspects within his external and internal environment.

Keywords: Psychology, child psychology, Spitz theory.

Résumé :

L'étude actuelle tire son importance de deux sources principales : la nature du sujet qu'elle aborde et la nature du groupe d'âge (enfance). Sur la base du fait qu'élever un enfant est un concept large qui inclut ce qui se passe à l'extérieur et à l'intérieur de la famille. En plus de l'importance de la psychologie de l'enfant, qui est un concept large, et se concentre dans son étude sur la pensée et le comportement de l'enfant, où c'est en retraçant ses étapes historiques depuis le début de sa naissance jusqu'à son adolescence, qui ont formé sa personnalité, et en comprenant son évolution et ses méthodes de formation. Afin de comprendre l'adulte qui est considéré comme un enfant du passé mais avec des caractéristiques développées, où les comportements émis par lui expriment un problème profond lié à la vie de l'enfance et aux étapes critiques de la croissance, considérant que l'enfant est celui qui fait l'adulte et lui fournit l'ensemble des qualités qu'il a aujourd'hui dans son environnement

À partir de ce qui précède, ce document de recherche vise à identifier les tendances les plus importantes qui ont émergé dans ce domaine, y compris cette tendance et son rôle dans la compréhension et l'étude de l'enfant avec ses aspects normaux et anormaux au sein de son environnement externe et interne.

Mots clés : Psychologie, psychologie de l'enfant, théorie de Spitz.

مقدمة:

إن النمو مفهوم يخص سيرورة التطور من حالة نحو أخرى ليس من الضرورة من السلب إلى الإيجاب أو من الأسوأ إلى الأحسن لكنه عملية لا بد منها لأن التطور مفهوم مرتبط بالإنسان، الذي يعنى بالتغيير من ولادته حتى وفاته. والنمو هو العملية التي تتفتح خلالها إمكانيات الفرد الكامنة وتظهر في شكل قدرات ومهارات وصفات وخصائص شخصيته.

فالإنسان يخضع لعمليات من التغير المستمر فهو ينمو في حركة دينامية خلال المراحل المتعاقبة من جميع الجوانب أو النواحي الجسمية والعقلية، المعرفية، الانفعالية الاجتماعية مما يحدد خصائص شخصيته الفردية عبر التفاعل الدينامي بين الطفل والبيئة وتوجيه هذا التفاعل هو الذي يهيئ التغيرات التي تميز النمو وتحققه، حيث يلخص الباحث (R.zazzo,1983) صورة مبسطة بموضوع دراسة النمو عن طريق الإجابة على السؤال الذي طرحه "كيف يصبح الطفل راشدا؟" وحاول الباحث تجاوز الدراسات المنعزلة للنمو ليتجه إلى الملاحظة المباشرة للطفل مما يعنى به من تعقيدات وخصوصيات في نشاطاته وعلاقاته بالآخرين. وذلك من خلال ما ورد في أبحاثه بما أسماه بالتنظيمات الوظيفية أي دراسة الطفل ونموه عبر وظائف (الفكر، العاطفة، اللغة،...الخ) والتي يرى أنها تساهم في تطور الطفل نحو الرشد.

ومنه فإن العمليات والخصائص النفسية والفيزيولوجية التي تعطى للطفل ليس لها جانب وراثي فقط بل لها جانب بيئي يوفره المجتمع، إذ أن الفرد يولد وهو ابن بيئته، وبالتالي فالطفل لا ينمو من تلقاء نفسه فهو ينمو ويتغير ويرتقي كشخصية توصف بالسوية بقدر ما توفر العاملين المذكورين (الوراثي/البيئي) ومادي اندماجهم لتحقيق حياته. ومما سبق فهناك العديد من الباحثين الذين ساهموا وأسهموا في دراسة الطفل بجوانبه السوية واللاسوية داخل محيطه الخارجي والداخلي ومن بينهم سبيتر إلى جانب باحثين آخرين.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى نقطة هامة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمرحلة عمرية مهمة تعتبر أساسية في حياة الإنسان وهي مرحلة الطفولة وما يحيط بها من عوامل اجتماعية ونفسية وفيزيولوجية في مراحل تطورها وهي تسليط الضوء على اتجاه ونظرية نظرية سبيتر ومبادئها في تفسيراتها لهذه المرحلة.

كما تأتي أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع نفسه وهو علم نفس الطفل الذي يعتبر من الفروع الأساسية والأولى في علم نفس النمو خاصة وعلم النفس عامة. وكذلك لأهمية المرحلة العمرية حيث تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل النمو التي يمر بها الفرد خلال دورة حياته، وقد أكد الكثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء التربية أمثال فرويد (Freud)، اريكسون (Erikson)، بياجيه (Piaget)، جون لوك (John Lock) وجون جاك روسو (Rousseau) وغيرهم على الأهمية البالغة لهذه المرحلة وعلى ضرورة الاهتمام بتحقيق متطلباتها الجسمية والنفسية والاجتماعية وكذا الانفعالية لينمو الطفل نمواً سليماً وسوياً، ونظراً لأهمية هذه المرحلة وما يترتب عنها من آثار تربوية ونفسية تحدد المعالم الأساسية لشخصية الفرد كونها مرحلة تكوين وإعداد؛ ففيها تتشكل العادات والقيم والاتجاهات وتنمو الاستعدادات والقدرات ويتحدد فيها مسار الطفل الجسمي والانفعالي والاجتماعي والعقلي طبقاً لما توفره له البيئة المحيطة، لذلك فإن الاهتمام بهذه المرحلة يعد من الأولويات الرئيسية التي تقع على عاتق الباحثين في هذا المجال وتفسير كل ما يحدث من تغيرات في جميع جوانب النمو لديها.

كما يمكن لهذا البحث رغم أنه استقصاء نظري أن يحفز باحثين آخرين في البحث في هذا المجال في تخصصات أخرى.

1- علم النفس:

يمكننا أن نعرف علم النفس على أنه علم يهدف إلى فهم سلوك الفرد السوي والمرضي والتنبؤ به، وذلك مهما كانت طبيعة هذا السلوك (حركي، فكري، لغوي، نفسي)، حيث تتيح لنا مختلف فروع هذا العلم دراسة الجهاز النفسي للفرد، وردود فعل هذا الأخير تجاه المثيرات القادمة من محيطه المادي والاجتماعي، وكذا فهم وظائفه النفسية العليا (الإدراك، الانتباه، التفكير وحل المشكلات، الذاكرة، الذكاء)، وتأثيره وتأثره بمحيطه الاجتماعي.

2- علم نفس الطفل: يعتبر علم نفس الطفل أحد فروع علم النفس، ويركز في دراسته على طريقة تفكير وسلوك الطفل، من بداية ولادته إلى مرحلة مراهقته، ولا يقتصر تعامل هذا العلم مع كيفية نمو الطفل جسدياً، وإنما يقوم بتنميته عقلياً واجتماعياً وعاطفياً. كان يُنظر للطفل قديماً على أنه نموذج مصغر عن الشخص البالغ، ولكن حالياً أصبحت نظرة علماء النفس إلى نفسية الطفل على أنها نادرة ومعقدة، وهناك اختلاف فيما بينهم فيما يتعلق بالتنشئة وطبيعة البيئة المحيطة بالطفل، ومدى تأثيرها في تطوره، فعند التفكير في كيفية تطور الطفل، يجب أخذ العوامل الداخلية والخارجية بعين الاعتبار، فكما تؤثر الوراثة والصفات الشخصية على الطفل، وتؤثر العوامل البيئية كالعلاقات الاجتماعية والثقافة السائدة في المجتمع أيضاً على كيفية تطوير الطفل.

وهو مجال متعدد التخصصات لكل من البحث العلمي والممارسة السريرية التي تحاول معالجة الجوانب النفسية للمرض، والإصابة به، وتعزيز السلوكيات الصحية في الاطفال، والمراهقين والأسر في مراكز صحة الأطفال، يتم معالجة القضايا النفسية في إطار تنموي، والتأكيد على العلاقات الديناميكية القائمة بين الأطفال وأسرهم، ونظام تقديم الخدمات الصحية ككل.

وظهر علم نفس الطفل خلافاً لأكثر العلوم الأخرى استجابة لمطالب حقول متعددة في معرفة منهجية حول الأطفال فقد كانت ثمة حاجة ملحة إلى أداة تفيد في تمييز الذكي عن متخلف العقل كما برزت الحاجة إلى طرق ناجعة لتربية الأطفال ووسائل مجدية لتحقيق تلك الطرق وتحولت الممارسات السلوكية للمربين إلى " علم منهجي" متحرر من المطالب النفعية التي دفعت إلى خلق هذا الأخير.

يهتم العديد من العلماء بدراسة نظريات علم نفس الطفل للوصول لعدد من الأهداف متمثلة في تفهم طبيعة الطفل النفسية في مراحل نموه المتنوعة ومساعدته في التعلم وإدراك العوامل التي تؤثر في منظومة اكتساب المعارف لدى الطفل والتعرف على أهم الخصائص التي يولد بها ومدى تأثيرها عليه، بالإضافة لتحديد الخصائص المكتسبة من البيئة المحيطة ودورها كذلك في حياة الطفل، وتشكيل شخصيته والتعرف على تأثير مستويات الذكاء والقدرات العقلية في حياته النفسية وارتباطها بالنسيان السريع أو القدرة على التعلم والتذكر وتحديد العوامل المؤثرة في اختلاف وتنوع أنماط السلوك بين الأطفال وبالتالي فهم الأطفال بصورة أفضل وتحديد أهم المعايير التي يمكن الاستناد إليها لتشخيص حالة الصحة النفسية للطفل والتعرف على أهم المشكلات النفسية التي قد يعاني منها ومحاولة البحث عن سبل العلاج المناسبة.

وتهتم نظريات علم نفس الطفل بكافة مظاهر النمو التي يمر بها الطفل سواءً نمو حركي أو أخلاقي أو انفعالي وغيرها من صور النمو التي يمر بها، بما يساهم في تكوين خلفية معرفية متكاملة عن الفروق الفردية بين الأفراد في

مراحل النمو المختلفة بالإضافة لفهم علم السلوك والتطورات السلوكية التي يمر بها الطفل من السلوكيات البسيطة إلى السلوكيات ذات الطابع المعقد والتي ترتبط بالأفكار والقرارات المعقدة التي يحتاجها الإنسان للعيش وهو ما يعبر عن تطور الإنسان من الطفولة والتلقائية إلى النضج الانفعالي والنفسي والذي يعبر عن قمة التطور للفرد البشري من خلال تفاعل كافة معطيات حياته من العناصر الوراثية وما يكتسبه من البيئة المحيطة به لتشكيل قيمه في الحياة وخبراته ومفاهيمه التي تتحكم في طبيعة ونوعية الحياة التي يعيشها الفرد. ومن بين هذه النظريات ما سنحاول تقديمه في هذه الورقة البحثية

2-1- أهداف دراسة النمو: إن أهداف دراسة النمو هو فهم التطور والتغيير عند الفرد لأن هذا التطور يحدث نتيجة عمليات معقدة تتشابه فيها عوامل متعددة بتأثيرات متفاوتة وتختلف من فرد لآخر، لأن كل شخص يملك خصوصية معينة سواء على المستوى الفيزيولوجي أو النفسي أو الاجتماعي... إلخ. فعلم النمو يعني بالشخص بوصفه مجموعة من التطورات.

-وبحسب (R m، 1998) فإن أهداف دراسة النمو هي:

أولاً: فهم الطفل بطريقة مباشرة حيث يكون يتبع المراحل التاريخية الخاصة به والتي كونت شخصيته وأنتجت سلوكياته وأفكاره وحتى أعراضه وأمراضه.

ثانياً: فهم سيرورته المرضية وطرق تكوينها.

ثالثاً: من أجل فهم الراشد الذي يعتبر طفل ماضي لكن بخصائص متطورة حيث السلوكيات الصادرة عنه على إشكالية عميقة تخص حياة الطفولة والمراحل للنمو، باعتبار أن الطفل هو الذي يصنع الراشد ويمده بمجموع الصفات التي هو اليوم بدون أن تتناسى العوامل المحيطة به التي أفرزت ظواهر تنتمي إلى سجله الطفولي.

تعبّر

الحاسمة

عليها



- نظرية سبيتز في علم نفس الطفل (M Spitz 1887-1974):

3-1- نبذة تاريخية عن الباحث: هو طبيب عقلي نمساوي، ولد في فيينا

سنة (1887) بعد دراساته في الطب في Budapest بالضبط في

Lausanne et Berlin اتجه إلى التحليل النفسي وبدأ البحث في مجال علم النفس التجريبي المتعلقة بالطفل للباحث (Charlotte Bohler) في فيينا، عاش في الولايات المتحدة الأمريكية حيث اخذ درجة البروفسور في علم

النفس التحليلي بموضوع **Graduat faculty du collège of the city of New-York** في نيويورك سنة (1956)، ثم بروفيسور في الطب العقلي من جامعة **Colorado** سنة (1967). حلل من طرف فرويد سنة (1910) وعمل كثيرا مع كل من ملاني كلاين وانا فرويد، وتوفي سنة (1974) في **Colorado**.

3-2- إسهاماته العلمية: لهذا العالم العديد من الاسهامات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- يعتبر من الأوائل في التحليل النفسي الذين استخدموا الملاحظة المباشرة للطفل ولمراحل نموه النفسي.
- اول من تكلم وعمل دراسة حول الحرمان العاطفي أصبح توجهها قائما بحد ذاته في نهاية الحرب العالمية الثانية من خلال قيامه بدراسة حول انتحار الأطفال الرضع بعد ستة أشهر.
- تركزت دراساته على العلاقات الموضوعية وتكويناتها وكيف يتكون الموضوع والانا وكذلك المرض في هذه العلاقات.
- تكلم سبيتز على منظمات للنمو والتي فيها مكتسبات واشياء تظهر علي الطفل اثناء مراحل نموه وهي التي تقوم بتنظيم هذه المراحل عنده.
- تكلم على المرض السيکوسوماتي عند الرضيع وكيف يتشكل، وله دراسات رائدة في هذا المجال.
- تكلم على الاستشفاء وكما سماه بداء المصححات والمرتبطة بالثنائية (ام/طفل).
- تطرق الى أيضا الى كيفية تنظيم انا الطفل وتكوينه، وتكوين العلاقات الموضوعية (الذات/والمحيط). وكذلك دراسات رائدة حول القلق.
- ولقد انتقد هذا الباحث العديد من الباحثين منهم:
- اتو رانك (**Autto Rank**) عن فكرته (مذكرته) على صدمة الميلاد.
- ميلاني كلاين في مقولته عن العلاقة الموضوعية المبكرة، بحيث أنه يصف من وجهة نظره الحياة النفسية للرضيع بطريقة بسيطة.
- يرجع في دراساته دائما الى التصورات الأولى والأفكار الفرويدية كأساس في بناء توجهه.

3-3- بناء النظرية: يصف "سبيتز" العلاقات الموضوعية (الغيرية) من خلال التصورات المنتقاة في علم الاجنة والمسماة بالمنظمات حيث يرى ان نمو الطفل السليم مرهون ومرتبطة بهذه المنظمات كما يسميها حيث لها دور كبير في نمو الشخصية. وهي بينها أشياء ومكتسبات تظهر على الطفل اثناء مراحل نموه وهي التي تقوم بتنظيمها مع الإشارة الي انها مرتبطة ببعضها البعض مكونة مزيج او نوع من التكامل وهي تعمل بطريقة محددة.

وهي عبارة عن ميكانزمات ومنظمات نفسية تظهر من خلال ظهور تصورات جديدة محددة للسلوك والتي تسمى بالموجهات.

ما هو المنظم؟: حسب هذا الباحث هو النقطة التي من خلالها نضع حدود او خطوط النمو حيث تتلاقى لتكون وتستخلص لنا مرحلة من مراحل النمو. (R S)، (1968)
ويقول أن هناك ثلاث منظمات كونت لنا ثلاث مراحل وهي:

❖ **الاستجابة بالابتسامة:** حيث تكون في الوجه الآخر ومصاحبة بحركة وهي خلاصة لمرحلة **anobjectal** أي بدون موضوع وهنا تتشكل الادراكات الحسية الخارجية للرضيع وتكون في الشهر الثالث.
❖ **قلق الشهر الثامن:** وهو خلاصة لمرحلة **pré-objectal** وهي الوصول الى معرفة العلاقة بين الذات والموضوع، هنا الموضوع تشكل وواضح وكذلك الانا.

❖ **ظهور (Non) لا:** حركة وكلمة مرتبطتين، وهي الدلالة على الاتصال حيث تنتج لنا مرحلة **objectal** وهي العلاقة بين الذات والعالم الخارجي بحيث العلاقة بالموضوع لا تتغير (مرحلة التمايز).
كل هذه المظاهر والدلائل يمكن تعلمها جسدي، وهي مرتبطة بمرحلة مهمة جدا وهي مرحلة نمو الجهاز العصبي تعتبر كنقطة مهمة تربط بين الجانب البيولوجي والجانب النفسي.

● **تشكل الانا:** ان الرضيع لا يملك انا لأنه ببساطة لا يستطيع ان يعالج كل المنبهات التي يستقبلها من المحيط الخارجي فهو محمي بعتبة عالية جدا من الادراك الحسي. بحيث تتشكل عناصر او انوية الانا من خلال السلوكيات الغذائية وكيفية ادارة هذه السلوكيات وكذلك طريقة الغذاء. ففي الشهر هذه الانوية تشكل لدى الطفل انا بدائي (اولي) بحيث تعتبر الام الانا الخارجي الذي ييدا الطفل في الانفصال عنه في الشهر التاسع حتى يصبح انا مستقل وحقيقي في بداية السنة الثانية أي من الشهر الخامس عشر. ويكون هذا التشكل من خلال الخبرات وكيفية استغلالها من خلال انا الجسدي.

✓ **إشكالية القلق:** يرى الباحث ان القلق يظهر عبر ثلاث مراحل وهي الانتباه: وهو المكون النفسي الأساسي والاصلي للقلق

✓ **سلوكيات التجنب والهروب:** وهي تنشأ اثناء مواجهة الفرد لموقف او حدث مزعج او مخيف.

✓ **قلق الشهر الثامن:** وهو حالة من حالات التعبير الجسدي بسبب صراع نفسي بين الرغبة الجامحة للهو و الانا أي بين الرغبة والواقع وهو ينشأ خوفا من فقدان الموضوع.

3-4-المفاهيم الأساسية للنظرية: اعتمد سبيتز في توجهه هذا ثلاث مفاهيم أساسية والتي سماها بالمنظمات

واعتبرها كمؤشرات للنمو السليم لدى الطفل حيث قسمها الي ثلاث مراحل أساسية وهي كالتالي: (J, 1984, p. p21)

3-4-1-المرحلة الاولى: الابتسامة: والتي تكون من الشهر الثاني الى الشهر الثالث حيث تدل على مجموعة من

الدلائل:

-الخروج من مرحلة لا تمايز **anobjectal** يعني مرحلة بدون موضوع والتي كانت مهيمنة من خلال ضرورة اشباع الحاجات البيولوجية الداخلية.

-تموضع العناصر الأولية للانا مرحلة ما قبل التمايز والتي تتميز بنمو الادراكات الحسية الأولية الخارجية، وكذلك هي تعكس شيء معين ومعنوي فهي تعبر عن حالة نفسية ودعم إيجابي للام التي كلما ظهرت هذه الابتسامة تحس ان هناك تواصل بينها وبين طفلها.

ويعني ان في هذه المرحلة الرضيع يكون سلبي لا يستطيع التمييز بين المنبهات التي يستقبلها وبين نفسه ولا يتعرف على الثدي الا إذا كان جائعا والذي يعتبره جزء منه، فحواس التعرف على بعد (السمع/النظر) غير مستعملة بعد فيبقى الفم المنطقة الحساسة الوحيدة التي تربط بين الجوع والثدي.

حيث يقول "سبيتز": " ان حتى نهاية الشهر الثاني من حياة الرضيع فانه يعرف إشارة واحدة وهي الغذاء عندما يحس بالجوع" ففي هذا الشهر يوجه اهتماماته بالنظر الى وجه الام لأنه يعتبره جزء من جسمه حيث تشبع رغباته عند الرضاعة فتعتبر اول ارتباط عاطفي وأول شخص يوجه له الطفل طاقته الانفعالية.

-وفي الشهر الثالث يوجه الطفل اهتمامه بوجه الآخر فيتبلور هذا الاهتمام في سلوك إيجابي فيبتسم للوجه، وفي الشهور التي تلي الابتسامة الرضيع يصبح أكثر إيجابية وبفضلها يستطيع استثمار طاقته الليبيدية والعدوانية والعاطفية.

3-4-2-المرحلة الثانية: قلق الشهر الثامن: وتحدد من خلال ظهور علامات القلق وكذلك ظهور ردود فعل قلقة

في وجه الآخر. ويبين هذا المنظم الثاني التكامل التدريجي لانا الرضيع، وقدرته الجديدة على التمييز بين الانا والانا، وكذلك الفرق بين الام الحقيقية والبديلة. بمعنى انها تبين بناء الموضوع الليبيدي الاول(الام) مع معاشة التهديد بإمكان فقدان الموضوع (الام)، ان ظهور الأوجه الغريبة في المجال الادراكي للطفل تنمي فه الشعور بغياب الوجه المؤلف لديه المتمثل في الوجه الامومي وهذا ما يؤدي الى اثاره القلق لديه. ان هذه المؤشرات كلها تبين ان الطفل بدا يدخل في مرحلة التمايز (الغريبة) أي بدأ يتعرف على العلاقة بين الذات والموضوع حيث يتضح التميز للمحيطين خلال سلوكياته المحاكاة والمماثلة للموضوع الامومي، وتمثل هذه المرحلة إدراك الطفل للمحيط الخارجي والعائلة وبالتالي وتدرجيا يختفي القلق المرتبط بوجود الغريب وتتسع حلقة العلاقات عائليا ثم اجتماعيا

3-4-3- المرحلة الثالثة: ظهور كلمة لا (Le Non): وتتحدد هذه المرحلة بظهور كلمة لا (حركة/وكلمة) وتكون

في بداية السنة الثانية من عمر الطفل أي في الشهر الخامس عشرة، ان ظهور هذا السلوك عند الطفل ناتج عن اثار وراثية، وتطورية بداية من المنعكسات المختلطة (الإرادية) والاصلية حيث تعتبر كموجهات للطفل نحو حلمة الثدي ثم على انعكاس الراس كإشارة للرفض (رفض الرضاعة على سبيل المثال).

- حسب سبيتز إدراك الطفل لكلمة لا يسمح له بالتمييز الكامل والحقيقي بينه وبين الموضوع الامومي (مرحلة التعرف على الذات) (معرفة الذات)، ومن ثم الدخول في شبكة العلاقات الاجتماعية، في نفس الوقت يعتبر هذا السلوك سبب نمو ونشوء اول المكتسبات المعنوية المحضة والمجردة للطفل حيث انها تساعده على التمييز في ادراكه للعالم الرمزي وكذلك الكفاءات الجديدة لمعالجة الرموز.

3-5-5- إشكالية المرض عند سبيتز وتفسيره له: من خلال دراساته العديدة على النمو النفسي السليم للطفل أشار

هذا الأخير الى اختلالات مرضية خاصة في بعض المواقف الصدمية ومن بين هذه الاختلالات "داء المصححات" و"الامراض النفس جسدية" (السيكوسوماتية) للرضيع وفيما يلي عرضها:

3-5-1- داء المصححات (الاستشفاء): لقد حاول (سبيتز 1957) أن يكشف أصول الدليل اللفظي الأول الذي

يشكل الحوار الثنائي البدائي حيث أستطاع بأعماله على الأطفال المهجورين أن يلفت الانتباه إلى النتائج الخطيرة التي يمكن أن يتسبب فيها الحرمان العاطفي المبكر، ومن جهة نظر هذا الباحث الشرط الأساسي للصحة العقلية هو قيام علاقات وجدانية ثابتة ومؤمنة بين الطفل وأمه وإذا حدث انفصال في هذه العلاقة خلال الطفولة الأولى سوف يؤدي ذلك إلى حرمان عاطفي مبكر يمكن أن يتطور إلى جدول من التأخر الوجداني الخطير كما يمكن في أقصى الحالات أن تؤدي إلى تأخر عقلي يكاد يكون لا رجوع فيه. ولابد من التأكيد على الطابع التطوري لهذا الجدول الإكلينيكي، حيث من الممكن أن تزول اضطرابات أقل خطورة بمجرد عودة التفاعل في الثنائية (أم-طفل)، أخطر عرض تكلم عنه كخلل في التفاعل أن الطفل هو تناذر الاستشفاء الناتج حسب هذا الباحث عن انفصال مطول عن الأم أو حرمانا عاطفيا كلياً أم كمياً وبحسب تعبيره هذا الجدول الإكلينيكي بإمكانه أن يؤدي في بعض الحالات القصوى إلى الموت أو تبقى آثاره مدى الحياة. (R S. , (1968)

تعريف: "وهو نكوص أو تقهقر عقلي للمرضى الذين دخلوا الى المستشفى لمدة زمنية طويلة، وهو يشكل مجموعة من الاضطرابات الجسدية والنفسية سببها الحرمان العاطفي لفقدان الام المفاجئ عند الأطفال الصغار الذين وضعوا في المراكز الاستشفائية او أخرى في الاشهر العشرة الأولى من حياتهم".

- وهو حالة انحطاط جسدي خطير يتشكل تدريجيا عند الأطفال الصغار بسبب الحرمان العاطفي المفاجئ وذلك بوضعه في المؤسسات.

- ولقد اظهر سبيتز ان الطفل الصغير الذي ينفصل عن امه يظهر خلال بعض الأسابيع او بعض الأشهر اعراض وتناذر خطيرين وذلك لتقهقر علائقي مصحوب بتوقف النمو الحسي الحركي وهي رادات فعل بفقدان الام، وتبين أيضا او تدل على ان الموضوع اللبدي قد تشكل مسبقا عند الرضيع.

- ويرى أيضا ان غياب الام بعد ستة أشهر وذلك عند نشوء نوع من العلاقة معها مع تكوين صورة لها يؤدي الى تكون نوع من الكبت(الكف) المضطرب واللامبالاة بالعالم الخارجي هنا الطفل فقد ما يسمى بالصورة الامومية الركيزة التي كان يتكل عليها وهو ظهور ما يسمى (الاكتئاب الاتكالي) عند الطفل.

ويرى الباحث ان بإمكانه ان ينطفئ او يشفى بمجرد رجوع الام الى الطفل (الطفل وجد امه)، اما إذا كان الحرمان العاطفي كامل وطويل فان هذه الاضطرابات تتطور الى حالة من الركود والهزال ثم الموت.

- من خلال دراسته المعمقة والتي ركز فيها على الملاحظة وذلك بملاحظة (170) طفل (34) منهم لقو الدعم الامومي او البديل، والأكثر هشاشة هم الرضع ما بين (6-12) شهر.

بناءا عليه التطور يكون حسب الجدول التالي:

جدول -1- مراحل التطور عند سبيتز من اعداد الباحثة

المرحلة	تفسيرها
الشهر الأول	الانفصال الطفل يبكي بدون سبب، يصبح حزين، يتعلق بكل الراشدين المحيطين به، ويبحث دائما عن الاتصال (اللمس).
الشهر الثاني:	* يكون هناك نوع من توقف للنمو خسارة في الوزن، القلق، الطفل يبحث عن الاتصال (اللمس) لكن بدون عنف(حدة).
الشهر الثالث:	هناك رفض للاتصال حيث يبقى الطفل نائم على بطنه فوق السرير، تظهر عليه اضطرابات النوم (الارق)، رفض الاكل، يصاب بالمرض بسهولة، اضطرابات حصرية، لا مبالاة، تأخر حركي نفسي بصفة عامة.
بعد ثلاث أشهر:	وتظهر على الرضيع بعض الاعراض المخفية وهي شحوب الوجه، غياب النظرات غياب البكاء تماما وكذلك الابتسامة، غياب النوبات المصاحبة للازمان.
قبل نهاية الشهر الرابع الى الشهر الخامس:	نلاحظ بعض التأوهات(النحيب)، حركات غريبة للأصابع، القلوبة (تكرار الي لحركات معينة او للكلام)، تنسيق بصري ضعيف (سيء)، تدهور النمو العقلي والجسدي، لكن رغم هذه الاعراض كلها يرى الباحث انه يمكن ان يشفى الطفل وبسرعة إذا حضرت الام او بديلها وذلك قبل هذه الأشهر ويسمى هذا الجدول ب (الاكتئاب الاتكالي)
اذن وحسب سبيتز ان داء المصحات يتطابق مع الاضطرابات السيكوسوماتية من خلال السبب المتمثل في قصور العلاقة الثنائية(ام/طفل) وذلك على المستوى الكمي.	

3-5-2- المرض السيكوسوماتية: وهي دراسة على الاضطرابات السيكوسوماتية والامراض التسممية، حيث تعالج من خلال نوعية العلاقة الموجودة بين الطفل والام. بصفة عامة فان العدوانية الوجهة نحو الام تنطفئ لحظة ظهور الاعراض السيكوسوماتية عند الطفل، حيث تتحول هذه الأخيرة نحو الطبيب او نحو فريق العلاج. وهذا الجدول يبين التحول من الوضع الامومي الى الوضعية الطفلية الارادية.

جدول -2- التحول من الوضع الامومي الى الوضعية الطفلية الارادية

الوضعية الطفلية à la réaction infantile	الوضع الامومي De l'attitude maternelle
- إنعاش الرضيع أو غيبوبة المولود - مغص أو إسهال الشهر الثالث	- الرفض الأولي يكون واضح وجلي - تساهل مفرط ومضطرب
- الاكزيما الطفلية - فرط الحركة، والتأرجح	- العدائية والعنف مخبئة أو مترجمة بالقلق - التذبذب بين التدليل والعدائية
- اللعب بالفضلات (fécaux) - مزاج عدواني مرتفع (مزاج لا يحتمل)	- اضطراب المزاجي الدوري - التوازن والتحكم المدي في العدائية
- الاكتئاب الانكالي	- المنبع العاطفي الجزئي - المنبع العاطفي الكلي

هذه الأخيرة عبارة عن وحدات أساسية والتي يمكن لها ان تتداخل فيما بينها ومع اعراض أخرى كالربو، الألم والقيء... الخ. وبصفة عامة سواء كان طفل او راشد فان المريض السيكوسوماتي يبحث دائما على اثبات للمحيط انه في حالة خطيرة وميؤوس منها، اذن المحيط لا يمكن ان يفسر عدوانيته على انها صحية، وتحويلها ضد نفسه او على الاخر.

3-5-3- الاضطرابات النفس تسمية (Psychotoxiques): حيث تكلم عليها هذا الباحث في مقالات عديدة

وهي ناتجة عن ثنائية (أم-طفل) مرضية وهذه الاضطرابات تندرج في إطار الحرمان العاطفي الكيفي بحيث وبالرغم من تواجد الأم على المستوى الإدراك البصري إلا أنها مفقودة على مستوى حدود الجهاز أو الإدراك النفسي للرضيع (R m, 1998, P17) وحسب هذا الباحث هناك نوع ثاني ما يعرف بالحرمان العاطفي الكمي الناتج عن انفصال فعلي عن الأم كما تطرق أيضا إلى شخصية الأم باعتباره سبب حدوث معظم الاضطرابات النفسية عند الرضيع :

1. **الرفض الأولي الظاهر:** والذي يمكن أن يكون ناشطا كرفض الأمومة والحمل أو سلبا مثل الأم تتصرف وكأن ابنها لا يهمها وغير موجود من البداية أي منذ مجيئه إلى الحياة ويكون رد فعل الطفل لهذا الرفض على مستوى الدائرة الفنية بحيث يصبح الطفل عاجزا عن الرضاعة ثم يستجيب لها وهنا يكون الرفض على مستوى الثنائية (أم - طفل).

2. **الرعاية الأولية المفرطة:** وتظهر فيه ما يعرف بمغص الشهر الثالث ويتميز هؤلاء الأطفال بكثرة الصراخ والبكاء فيكون رد فعل الأم لهذا الصراخ بالإفراط في الرضاعة إذا كلما بكى الطفل ظنت الأم أنه جائع لكن بكاء الطفل

يكون نتيجة هذه الوضعية المضطربة مع الأم، منتجا مغص يؤدي للبكاء، حيث يزول هذا البكاء تلقائيا بعد الشهر الثالث وذلك بتعلم الأم كيفية التواصل مع رضيعها. (R S. , 1968)

3. **العدوانية المقنعة بقلق ظاهر:** حيث أن غالبا ما تكون عدوانية ومقنعة اتجاه رضيعها مما يظهر عند هؤلاء الأطفال أمراض جلدية من نوع الإكزيما.

3-6- **المحصلة النظرية وتقييم أعماله:** ان دراسات سبيتز عن الرضيع وابرازه للتعلق والارتباط الوثيق بالأم أكد حقيقة وهي ان الموضوع اللييدي يتشكل مبكرا عند الفرد وهو ما أتاح لبعض الباحثين في كتابة نظرية التعلق في (1950) وهو ما يميز الكائنات كلها هو الحاجات البيولوجية يعني ان ليس هناك أي اختلاف ل احد عن الاخر.

- دراساته ليس لها هدف تطبيقي بل لها هدف وقائي.

- ملاحظاته الاكلينيكية يجب ان توفر توضيحات وإرشادات للآباء، والبيداغوجين والمربين... الخ.

- هذا الباحث يمضي كل وقته في جلب انتباه التربية القومية، أطباء أطفال المدرسين الابتدائيين على الاحتياجات العاطفية للأطفال الصغار.

خلاصة:

وعليه نستطيع ان نلخص ما جاء به سبيتز كما يلي: ان في المرحلة اللاغيرية نجد الطفل لا يفرق بينه وبين المحيط الخارجي وشيئا فشيئا يبدأ التمييز الجزئي ويفرق بين ما هم انا ولا انا وعبر تطوره ونموه يصل الى مرحلة التفرقة والتمييز الكلي وهذا في المرحلة الثانية (المرحلة الغيرية) وذلك ليبدأ بالتعرف على اشخاص اخرين والاحتفاظ ويكون بصورة الام فقط وهنا يأتي دور التماهي الاولي وهذا حسب الصورة المستدخلة للام وبالتالي يصبح التعامل مع العالم الخارجي اعتمادا على تلك الصورة سواء لمعاشاتها او سلوكياتها عن طريق الية الاحباط.

توصيات:

1- ان التربية في جميع جوانبها الاجتماعية، النفسية، الثقافية، الانفعالية، الوجدانية... الخ لا تكتفي بالجانب النظري بل تحتاج الى تطبيق عملي في حياة الطفل.

2- الاهتمام بإعداد برامج التنمية العاطفية والوجدانية الاجتماعية والنفسية والانفعالية للطفل، وسرعة البدء في تقديمها لهم لتحقيق الاستفادة المثلى من هذه البرامج، مع مراعاة ان يتناسب محتوى البرامج احتياجات واهتمامات الطفل.

3- اجراء دراسات تركز على فاعلية الاسرة ودورها في التربية تضم جميع السياقات (الاجتماعية والثقافية والاقتصادية) الخاصة بالطفل وتنميتها.

4- ضرورة التواصل بين كل من الأسرة والمؤسسات الأخرى خاصة المدرسة منها في أداء ادوارهم، في تعميق هذه الجوانب الخاصة بالطفل.

5- ضرورة صياغة تطبيقات تربوية تنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية تتلاءم مع متطلبات العصر والطفل.

قائمة المراجع:

- 1- Ajuria Guerra. D.Marcelli. J.De (1984) ; **Psychopathologie de L'enfant** -2^{em} édition Masson- Paris.
- 2--Anne-Marie LERICHE , »**SPITZ RENE Arpa (1887-1974)** », Encycopaedi a Universalis , consulté le 9 mars 2016,IRL .
- 3-Dominique Giffard ,(1986),**therapies de L'enfant en pédopsychitire**. France : Presses Universitaire
- 4-Mucchiellie R,(1962) la psychologie de l'enfant, France : Presses Universitaire (PUF)
- 5-Mucchiellie R,(1998), la psychologie de l'enfant et l'adolescent, France : Editions Armand Colin.
- 6-Sptiz R, (1968), **De La Naissance à la Parole**. Première Année De la Vie, Paris, PUF

7-Sptiz R,(1965), **introduction à la thérapeutique de l'enfant**,France :
Presses Universitaire